Received: 18/10/2020 Accepted: 25/10/2020 Published: 2021

اشكالية الهوية في رواية رغوة سوداء لحجي جابر

أ.م.د نضال عبد الجبار حسوني الخفاجي
كلية التربية الاساسية - الجامعة المستنصرية
nalkafaji80@gmail.com

المستخلص:

رواية رغوة سوداء للروائي الارتيري حجي جابر تعد رواية مكتنزة لعديد من القضايا التي عالجت اشكالية اندماج المهاجر الافريقي ضمن المجتمعات المتعالية عليه بسبب اشكالية العرق، هذه الرواية التي دخلت في قائمة جائزة البوكر العربية رصدت معاناة الهويات الفرعية والملتبسة، والصراع مع المركز ضمن سلسة احداث مؤلمة لشريحة انسانية عانت الرفض حتى بعد وصولها الى اليتوبيا المزعومة بأرض الميعاد (اسرائيل) الوطن الحلم ليهود الفلاشا ذوي الاصول الاثيوبية .

المقدمة :

إن دراسة الهوية واشكالياتها اخذت حيزا كبيرا من الدراسات الخاصة بالانساق الثقافية بوصفها الكينونة الشخصية او الجمعية التي تحدد العلاقة بين الذات والاخرين، وتشابكات العلاقة لم تسر في أي مجتمع او حضارة على نسق واحد، بل شابها مشكلات التهميش والاقصاء والتشظي، لوجود الاختلافات العرقية والدينية والسياسية والحضارية داخل الحيز المكاني الواحد، وسعي الجماعة في كل الثقافات الانسانية الى محاولة التأصيل الايدلوجي لانتماءاتهم كمركز، ورفض الآخر الذي يمثل هامشا في بنيتهم . وكانت السرديات وما زالت المحمول الثقافي الذي يسع لعرض هذه الاشكاليات في بنيته، لان النص السردي يمثل منظورا يرصد مواقع الافراد وحيواتهم وعلاقاتهم مع الاخر. ورواية رغوة سوداء للروائي الارتيري حجي جابر تجسيد لمعاناة اللاجئين الافارقة في البحث عن وطن بديل بعد ان لفظتهم اوطانهم، ورصد لإشكالية تشكل الوعي بالذات مع هوية ملتبسة منذ بداية الحياة، تلك الهوية المكتسبة عمدا وقهرا، ومحاولة خلق هويات اخرى مقبولة عند الاخر، الذي يرفضها بدوره، بسبب هوية اكثر رسوخا في التكوين البشري، وهي الهوية العرقية. يعري حجي جابر في هذا المنجز الابداعي جميع الانظمة التي تتكأ على مقولات عالم ما بعد الكولونيالية الكاذبة بالغوص في عمق المأساة، هويات واسماء عديدة لشخصية واحدة تحاول الفرار لواقع افضل فيصطدم بأن جواز المرور للعالم الجديد يقف عند لون البشرة وان كل الهويات التي اختلقها والحيوات التي ادعاها لن تشفع لأمثاله، فيموت برصاصة خاطئة من مجند اسرائيلي في حيفا .

الهوية واشكالية الوعي بالذات:

إن دراسة الهوية الثقافية واشكالياتها متصلة بنظرية ما بعد الكولونيالية، حيث سعت الهويات الفرعية لتأصيل كينونتها خوفا من الاستلاب والتهميش، والاقصاء، واول ما يطالعنا في رسمنا لإشكالية الهوية هو رصد اشكالية الوعي بالذات والعلاقة مع الاخر " فالهوية قائمة وهي نتيجة تكوين

عضوي – مادي ، نفسلوجي، اجتماعي وعلائقي وتاريخي وحضاري الا ان وعي خلاصة هذه الابعاد المتفاعلة وتأثير الحالة التي تمر بها هي التي تهبط بقيمة الهوية او ترفع من شأنها " (1) وغالبا ما تكون الشخصية الباحثة عن وطن بديل لديها اشكالية واسئلة عن معنى الانتماء وجدواه وعن اهمية امتلاك هوية لا تحفظ له ادميته وتمتاز هذه " الشخصية الرحالة بخبرة عن ذاتها ومجتمعها مثقلة بالخسارة الميتافيزيقية للوطن " (2). بطل رواية رغوة سوداء شاب ارتيري، وهو احد ابناء ثمرة النضال، وهم الابناء غير الشرعيين الذين يولدون في ساحات المعارك من غير ان يعلم عن كينونته شيء، فأولاد ثمار النضال يسمون بأسماء المعارك او الانهار والجبال والطبيعة التي يولدون فيها، فهوية البطل ملتبسة منذ البداية، بين التبجيل والدونية، فهو ينحدر من سلالة مقاتلة لا يعرفها، وموقعه في هذا العالم كان نتيجة للحظة عابرة غير مسؤولة ، لذلك فان ادراكه لكينونته تغلفها اشكالية كبرى فالهوية كما يرى ادونيس انما تتبلور في تفاعل علائقي بين الذات والاخرين (3)، وذات البطل منذ البداية مشروخة تعاني من ازمة القهر المركب، حملت هم السؤال عن ماهيتها وانتمائها، وهذا ما عبرت عنه الشخصية الاشكالية في الرواية في ازمتها مع الاسماء وحمولاتها الدلالية **" الاسماء الممنوحة، جبال ومعارك واودية وقرى، ورطة التشابه حين يتقاسم اثنان اسما ثم لا يجدان اسم اب أو عائلة يفرق بينهما، فيلجا الاخرون لحيل جانبية من قبيل : أدال كبير وأدال صغير، أو تلتصق بالواحد احدى صفاته البارزة ليصبح : أدال الاعرج أو السريع أو الاحول، الى اخر تلك الحيل البائسة "** (4).

فالوعي الذاتي للشخصية رسم منحى نفسيا في تفاصيل الحدث، فالشخصية تبرر كل اختلاقاتها المستقبلية للشخصيات، وكل تشظياتها للحدث الاول، (الكينونة المذلة) **" لطالما كنت محسودا كوني من ثمار النضال. يرى الجميع كيف نهيأ لمستقبل البلاد ، يعرفون اننا نجهز لنكون عمود الوطن الفقري، نحظى بتعليم جامعي، ونلزم باتقان أكثر من لغة، واجادة استخدام الاسلحة الخفيفة. وحدنا بلا انتماءات قبلية او دينية، الثورة وجهتنا الوحيدة، هي الام والوالد. بدوري كان الامر ملتبسا لدي بعض الشيء، فمن جهة كان يبهجني هذا الاعتناء من القيادة، وذلك الحسد الذي يثيره في عيون اترابي، لكنه لم يستطع تخليصي تماما من شعور الفقد، من أن اكون بلا اب أو ام، بلا اخوة ، بلا حائط استند عليه، بلا تاريخ، بلا ذاكرة. كنت اغتاظ حين المح تلك النظرات الهازئة من رفقاء لا يملكون جرأة الافصاح عن شعورهم تجاهي. لم تتمكن تلك العناية الفائقة "بنا" ان تنسينا تماما اننا جئنا نتيجة متعة عابرة في الجبهة لا تكلف اصحابها مشقة الالتفات خلفهم لتفقد النتيجة "** (5) ، فالهوية المحايدة الهجينة كانت عبئا ثقيلا ولّدت عنده ذاتا جريحة، لذلك كان البطل يهرب حتى من اسمه الاول، فالاسم محمول دلالي كبير وهو دال شخصي يكشف ابعاد الهوية وجذورها الثقافية **" ماذا اقول لها ؟ هل أذكر اسمي الذي اعرفه ؟ أدال ؟ ستعرف على الفور معنى ان يسمى شخص باسم جبل أو وادي او معركة، ليس مستبعدا أن تشعر بالتقزز وتغادر دون أن تحاول اخفاء خيبة املها، ربما ستكون أكثر رأفة بي، ونجد مخرجا رحيما لانسحابها، لكنها ستذهب في آخر المطاف "** (6) . وهذه الذات كانت تبحث عن كينونتها الاولى وعن الرحم الذي آواها عبر سلوك نفسي اصبح لا ارادیا بالتقادم (رائحة النساء)، فالشخصية كانت تحتفظ باللقط الناعمة الصغيرة التي تتركها النساء

ليبحث فيهن عن رائحة قد يألفها " **حين كبرت قليلا كان يشغلني سؤال هل كانت والدتي الحقيقية قد غافلت الثورة وجاءت لرعايتي كمرضعة أو جليسة، اي رائحة بالضبط تعود اليها؟ ترى هل تعمدت أن تبقي منها شيئا** " (7) . فالاسم الاول (ادال) واشكالية الهوية الملتبسة التي التصقت به كانت اولى تشظيات الذات في تشكل وعيها الاشكالي لان الهوية ضرورة في تشكل وعي الانسان واحساسه بانتمائه الى مجتمع أو امة او جماعة او طبقة في اطار الانتماء الانساني العام، انها معرفتنا بما وأين، ومن أين اتينا، والى اين نمضي وبما نريد لأنفسنا وللآخرين، وبموقفنا من خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات القائمة، وقد جسد الروائي كل هذا الصراع بتقنية المونتاج السردي، إذ تم جمع اجزاء النص على وفق الترتيب الذي رسمه المؤلف بمخالفة الزمن الطبيعي لترتيب الاحداث واعادة ربط اجزاء النص تقديما وتأطيرا وحذفا واختصارا من غير اخلال بالمادة السردية.

اختلاق الهوية:

كانت الهوية وما زالت شفرة يمكن للفرد من طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي اليها، والتي من طريقها ايضا يتعرف عليه الاخرون بوصفه منتميا الى تلك الجماعة، وهي شفرة تجتمع عناصرها العرقية على مدار تاريخ الجماعة من خلال تراثها الثقافي وطابعها الاجتماعي فضلا عن التقاليد والعادات والرموز التي تنحصر قيمتها في انها عناصر معلنة تجاه الجماعات الاخرى، فهي التي تميزها عن سائر الهويات (8)، وما دام بطل الرواية يعاني ذاتا متشظية مجروحة فقد خلق حجي جابر في روايته رغوة سوداء اكثر من هوية لتخليص بطل شخصيته من ازمة هويته الاصلية، فبطل الرواية كان يجيد فن الاختلاق ولعلها اللعبة الاكثر اجادة لديه، ففي اللحظة التي خرج بها بطل القصة من ارتيريا قاصدا اثيوبيا كان يلفظ آخر ما تبقى من هويته المذلة " **اراد ان يستشعر حقيقة النجاة، حقيقة مفارقة الاذلال الى الابد، هناك خلف تلك الجبال البعيدة التي استنفدت طاقته وهو يتسلق بعضها ويلتف خلف الاخر تقع ارتيريا، ليس ثمة حنين داخله على الاطلاق، كان الحنين يتساقط من روحه مع كل خطوة يخطوها في الاتجاه المقابل كان يتطهر بالبعد عن الوادي الازرق، يفرغ رصيده من القهر في محاولة العودة الى روحه قبل ان تلتصق بها النتوءات والندوب " (9).** إن حقيقة فراغ الهوية في تكوين بطل الرواية جعلت من السهل اختلاق اي هوية اخرى، ولطبيعة حلم كل المقهورين في العالم الثالث كانت اوربا هي اليوتوبيا للخلاص واعتناق المسيحية هي بوابة الدخول لهذا الحلم ، لذا اختار بطل الشخصية اسما مسيحيا في مخيم اللاجئين على امل الحصول على وثيقة سفر الى اوربا واختلق قصة سردها على اسماع اعضاء مكتب الامم المتحدة، ولكن هذه الهوية المختلقة لم توصله الى اي مكان سوى الاعجاب بحبكة الشخصية المقهورة التي عرضها من قبل اعضاء مكتب الامم المتحدة في المخيم. وهنا ظهرت ملامح الهوية اليهودية كملمح للنجاة، المنفذ الى اسرائيل وجواز مرور الشخصية هي الهوية اليهودية ذات الاصول الاثيوبية (يهود الفلاشا)، فالشخصية تملك مقوماتها العرقية واللغوية، فيهود الفلاشا هم اليهود من ذوي الاصول الاثيوبية، والفلاشا في اللغة الامهرية هم المنفيون أو الغرباء. ومع فكرة الهوية اليهودية بدأت اشكالية جديدة وهي اشكالية النسيج المجتمعي داخل اسرائيل نفسها، فمن غير هويات السفارديم، والاشكيناز المعروفتين في بنية المجتمع اليهودي، ولدت طبقة جديدة وهم الصباريم ،الهوية

الجديدة في هذا المجتمع، وشخصية الصباريم قد تخلصت من عقدة الشتاتية، فهو ابن البلد يشعر بانه عبري وليس يهوديا يعرف كيف يفرق بين القومية والدين، وحال بطل الرواية كيهودي من الشتات وصل الى ارض الميعاد اليوتوبيا المزعومة يواجه اشكالية الاندماج الهوياتي مع شكل العالم الجديد في اسرائيل. ان ما يواجه المواطن الشتاتي في اسرائيل هو هم الهوية المركبة، هذا الخليط من الاجناس والاعراق واللغات والقوميات كيف يمكن له ان يندمج في بوتقة واحدة على ارض واحدة، فضلا عن خصوصية يهود الفلاشا اصحاب البشرة السمراء الذين يواجهون رفضا من الجيل العبري الجديد (الصباريم). تمكن بطل الرواية من الدخول الى المخيم الذي يقيم فيه يهود الفلاشا املا في نقلهم الى اسرائيل بعد أن يتم تعليمه الديني، وكذلك تعلم اللغة العبرية واختارت له (سابا) المرأة التي ساعدته في اختلاق الهوية الجديدة اسم (داويت). خلال رحلة الذهاب الى ارض الميعاد يصطدم البطل بأولى ملامح العنصرية اليهودية " **سارت المجموعة في طريق نصف دائري ... وقوات الامن تفصل بين فريقين، احدهما يرحب على استحياء بالقادمين، والاخر اكثر جراة يصرخ ويحمل لافتات تدعوهم للعودة بأمراضهم من حيث اتوا** " (10). قضية تقبل الاخر المختلف عرقيا كانت اكبر هموم الشخصية فالهوية العرقية داخل اسرائيل كانت واضحة في ثنايا السرد " **صرخت الممرضة فزعة، وابتعدت مسرعة حين كادت تصطدم بداويت عند نقطة تقاطع الممرات ، وهي تتمتم بكلمة التقطتها اذن داويت (عبد قذر)** " (11). " **حبس داويت ضحكه وهو يرى الفتاة الفزعة تعامله كوباء متنقل شره يبحث عن طريدة تنقض عليها انيابه** " (12). اسرائيل (ارض الميعاد) للمنفيين في الارض بدل ان تكون يوتوبيا لبيتا اسرائيل كما يسمي يهود الفلاشا انفسهم اصبحت دستوبيا ترفض الدخلاء وغير الدخلاء فعرقهم هوية مرفوضة، لا يمكن لها الاندماج في مجتمع يعاني الشتات منذ البداية .

استطاع حجي جابر بحرفية متناهية ان يصور مشاعر البطل بمنتهى الدقة ذلك الخوف والترقب وانتظار فضح هويته في اي لحظة، لان لا هوية تربطه بهذا العالم، فهو طريدة تبحث عن ادميتها وسط صراع هوياتي هائل، وان كان وعي الشخصية حاضرا حتى قبل الخوض في تفاصيل محاولة الاندماج مع العالم الجديد " **مداخل المدن لا تكذب عادة، اما ان تحتضنك من اللقاء الاول او تلفظك الى الابد** " (13) هذا الوعي الذي اكتمل مع شخصية يعقوب السوداني الذي سكن القدس قادما من دارفور، هذه الشخصية المتصالحة مع هويتها المنتمية الى كل شيء في هذه الارض خلقت لنفسها مركزية بعيدة عن الوطن، هذه الشخصية المرآة لم تكن اشكالية ابدا بل كانت تمتلك وعيا مسبقا بإشكالية الانتماء وطريقة التعاطي مع هذا الاختلاف من غير اللجوء الى اختلاق هوية ملفقة. وضع الكاتب هذه الشخصية غير الاشكالية (يعقوب السوداني) في نهاية الرواية ليكمل فيها وعي الشخصية الاشكالية " ادال أو داود أو ديفيد أو داويت " ليشكل هويته ويعرف موقعه من هذا العالم، فتشكل الوعي كما يرى جون لوك عبر الهوية يتم من خلال انصهار الخبرات الماضية والحالية ، إذ يقول: " ان ما يجعل الشخص هو هو عبر ازمنة وامكنة مختلفة هو ذلك الوعي الذي يصاحب مختلف افعاله وحالاته الشعورية الماضية بالخبرة الحالية مما يعطي لهذا الوعي بالإحساس بالاستمرارية وديمومة فشكل بذلك (الانا) كذات مطابقة لذاتها اي لها هوية "(14) .

ورواية رغوة سوداء كانت سيرة ذاتية لحياة شاب اثيوبي (سولومون تاكه) برصاص شرطي في مدينة حيفا والكاتب في هذه الرواية كانت له قصدية وهو يقلب احداث وقعت بالفعل واعاد تجسيدها سرديا اذ انه " تجاوز الاطار النفعي الذي يرمي اليه الخطاب التاريخي، فالكتابة التخييلية تنبش في ابعاد المكان والزمان فترصد مالم يقله التاريخ الرسمي، وتنظر في المغيب والمسكوت عنه، فهي كتابة قاتلة لكتابة أخرى " (15)، وهذا ما انتجته هذه القراءة السردية لواقعة مقتل شاب اثيوبي بسبب جدلية هوياتية محضة .

الانساق المضمرة من العنوان الى المتن

إن المنظومة النقدية الثقافية تشتغل في كل خطاباتها على نظرية النسق المضمر، فالنسق المضمر طاقة دلالية هائلة يتوارى تحت عباءة النص بقصدية عالية، ليعاد اكتشافه من خلال اعادة انتاج الدلالة عند المتلقي. وقد اوضح الغذامي في كتابه النقد الثقافي بان ابرز ما يتسم به النسق " انه يحتوي على افكار ودلالات فيها ايحاءات واضمار- اذ انها منكتبة ومنغرسة في الخطاب ومؤلفتها الثقافة ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء يتساوى فيها الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والمهمش مع المسود " (16) ومن مفاهيم هذا النسق في النص بانه " كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة " (17). ولقد حدد النقاد والمشتغلون في النقد الثقافي شروطا اربعة للنسق المضمر حددها الغذامي في كتابة (النقد الثقافي) بقوله " يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد والوظيفة النسقية لا تحدث الا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من انظمة الخطاب احدهما ظاهر والاخر مضمر، ويكون المضمر ناقصا او ناسخا للظاهر ويكون ذلك في نص واحد او ما هو في حكم النص الواحد ويشترط في النص ان يكون جماليا وان يكون جماهيريا، ولسنا نقصد الجمالي حسب الشرط النقدي المؤسساتي وانما الجمالي ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلا " (18) هذه الشروط الاربعة للغذامي اكدت على وظيفية النسق، فوجوده يحدث فرقا دلاليا مهما، فهو مدلول نصي تنبني عليه قصدية تراكب بنيات الدوال الظاهرة. ويعد العنوان العتبة القرائية الاولى للنص، فهو اهم نسق مضمر لو وظف بطاقاته الايحائية العالية من قبل كاتب النص واستغل موقعه لضبط انسجام بنية النص الكبرى (المتن) فالعنوان " نص مصغر ومرآة عاكسة للمحتوى النصي، ومفتاح تأويلي" (19)، ويلعب العنوان دورا مهما في خلق الانسجام المطلوب بين عالم النص وبين مرجعيات النص الخارجية وسياق التأليف والقراءة معا ، ومن هنا تنبع الاهمية القصوى للمقاربة التأويلية لكثير من العناوين من حيث هي نصوص مصغرة تحيل على نصوص موسعة او بوصفها مرايا معلقة في واجهة النصوص تتوجه اليها عيون القراء لترى تفاصيل النص (20) ، وليست كل العناوين صالحة لتوظيف الانساق المضمرة داخل متنها، فقضية الانتقاء تنبع من الاكتناز الثقافي لمبدع النص واجادته للعبة الخلق الدلالي وتراتبيته. وفي رواية " رغوة سوداء " احتلت العتبة الاولى للرواية مساحة مهمة كنسق مضمر في كليته فالرغوة السوداء لفظين متجاورين بينهما مسافة دلالية كبيرة ، الرغوة الطافية دوما على السطح لا تتجانس ابدا مع ما يحملها، والسواد هوية عرقية عانت وما زالت تعاني من الاضطهاد والرفض منذ دهور خلت وما زالت طافية على الاسطح من غير ان تندمج مع اي مجتمع يخالفها "

في هذه اللحظة ادرك داويت ... ان تل ابيب لم تكن الا سطحا آخر يقف حائلا بينه وبين ان يغوص للداخل ان يصبح منتميا للمكان بكليته هل هو يقسو على المكان ؟ وما الاماكن الا ناسها ؟ " (21)
فالكاتب اختار عنوان روايته ليرسم اشكالية الهوية العرقية في مجتمعات تعاني شرخا كبيرا بين المركز والهامش، فالعنوان هو اول مؤشر دال عن تلك الهوية، وتوظيف العنوان بنسقه المضمر اعطى بعدا مهما في رسم ابعاد الهوية الملتبسة للبطل الاشكالي. وهذا النسق ورد في الرواية اربع مرات. **" اتعبه هذا الترقب لما سيأتي من اسمرا الى انداغابونا الى تل ابيب، والان الى القدس وكل مكان يلفظه الى السطح كرغوة، دون ان يمنحه التفاتة تبقيه في العمق "** (22)
" نعم هناك مشاكل تحيط بنا، فالإسرائيليون يعادوننا بسبب موقفنا من الاحتلال، وبعض اهلنا لم يستطيعوا حتى الان ان يتقبلوا لون بشرتنا، لكن لا يمكن للحياة ان تكون بلا مشاكل.. اليس كذلك يا داود؟ كان داود غارقا في المفارقة التي يعيشها الافارقة الفلسطينيون، لا يعرف لماذا رأى نفسه فيهم انها الرغوة السوداء مجددا، تطفو على السطح رغم كل محاولاتها ان تصبح في قلب المكان " (23) **" اخذ سؤال الجندي يتردد داخله ببطء شديد يرى الوجوه من حوله متوترة، دون ان يغير ذلك من تراخيه حاول ان يجيب على السؤال غير ان لسانه قد بدأ يثقل تمنى لو يستطيع خوض حوار مع الجنود من حوله، لا يريد الاجابة الان، بقدر ما يود طرح الاسئلة، اراد ان يسالهم عن هويته، عن اسمه داوود ام دايفيد ام داويت، ان يسال عن ديانته ان كان مسلما ام مسيحيا ام يهوديا، عن جنسيته، ان كان ارتريا ام اثيوبيا ام اسرائليا أم فلسطينيا، ليته يجد الاجابة كم يحتاجها الان والان بالذات، حين التفت له الناس اخيرا ليعرفوا هويته التي قضى عمره يبحث مستقر لها بدأ الضجيج يخف من حوله غاص جسده في استرخائه شعر بالحاجة الى النوم سينام قليلا ليصحوا بعدها وقد وجد الناس من حوله لسؤاله، سيترك لهم هذه المهمة التي اعيته طويلا، اغمض عينيه، وقد شعر بروحه رغوة تطفو على السطح"** (24). ومن الانساق الاخرى التي تطالعنا في الرواية الاسماء التي اختارتها الشخصية، فالاسم الاول هو اسم قدري(ادال) حدد ملامح هوية القهر المركب، هوية الذات غير المنتمية، أما (ديفيد) و (داويت) و (داود) فكل اسم منهم هو محمول دلالي مهم يشير الى هوية تتبناه وتعبر عنه وتكشف انتماءاته الثقافية والدينية مع ان الدلالة واحدة. ونرصد ايضا وعي الشخصية لأسماء البارات في اثيوبيا، التي اثارت اهتمامه بما تحمله من طاقة دلالية عالية **" تجاوز منطقة مزدحمة الى اخرى بدت اكثر هدوءا، ابطأ من سيره وانشغل بقراءة اسماء البارات، الحبشة الكبرى، الامبراطور، النصر، لم يتخلص الخصوم اذن من التحفز تماما، لكنهم جعلوه يترافق مع الحياة "** (25) ، وهذا وعي عال من الشخصية الذي ادرك هذا التعالق والتشبث الجماهيري بنشوة التفوق وتقييده بتشكيلات لغوية مرئية وبأسماء لها دلالتها التحفيزية. وفي مشهد مهم آخر من الرواية تلتصق بالبطل الاشكالي هوية دينية تعريه امام الاخر، وهذا النسق الثقافي لم يكن تابعا لإرادة البطل فهو معطى قسري اخذه من الواقع كما اخذ اسمه الاول مشهد تفتيش جسم البطل من قبل حاخامات اليهود قبل السماح له بالمرور الى اورشليم الوطن الحلم ليهود الفلاشا المقهورين، فالبحث عن علامة جسدية لتثبيت هوية كان هاجسا مخيفا للبطل **" حسنا سبق له الختان "**

نطق بها بنبرة ساخرة وهو يلتفت صوب البقية خلف الستار قبل ان يتمتم آخر باشفاق:
" لا بأس ، المهم انه عاد الى ملته أخيرا "(26) فالبطل على الرغم من امتلاكه هوية دينية فهو لا ينتمي لها في الحقيقة كل الهويات التي مرت عليه اما قسرية او مختلقة ولذلك بقي الوعي لديه ملتبسا .
ويبقى أول نسق مضمر في اي رواية بعد العنوان مثل العبارات الاستهلالية مصباحا كاشفا لتأويلات ثقافية عالية الحضور في العقل الجمعي غالبا، انه مفتاح القراءات التالية للنص الاكبر(الواقع)،والنص الاصغر (المنجز الابداعي) ولعل اشارة الكاتب في اول صفحات الرواية لنص عاطف خيري الشاعر السوداني " **آخر الناجين من الذبح صار يعبد خنجرا** " نسق كان يتحرك في كل مفاصل الرواية بخفاء، فهو منظور واقعي لما حدث ويحدث من صراع حقيقي مع الذاتي والغيري، ومع الكينونة ووهم الانسلاخ منها، هذا النسق ببنية المفارقة التي يرصدها يجسد واقع اشكالية الذات في تعاملها مع الاخر الذي لن يقبل باختلافك مهما رضخت لقواعده .

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة الشائقة في عالم النقد الثقافي للوقوف على ابعاد واشكاليات الهوية الملتبسة توصلنا لنتائج عدة، منها :

1-رصدت هذه الدراسة اشكالية الهوية الملتبسة، تلك الهوية التي اضفت على حامليها شعورا بالقهر المركب، كما اربكت هذه الهوية حامليها في ادراك ذواتهم وتنظيم علاقتهم مع الهويات الاخرى سواء اكانت هويات الفرع ام المركز.

2-عالجت الدراسة قضية وهم الهوية واختلاقها كوضع طبيعي للشخصية الاشكالية المأزومة، فهي تملا فراغ ادراك كينونتها في الانتماء بخلق هويات جديدة .

3-سلطت الدراسة الضوء على هموم الهوية العرقية خارج حواضنها الاصلية وسياسات الاقصاء والنبذ والتنمر التي تمارس ضدها كسلوك طبيعي في المجتمعات النرجسية على الرغم من التحول الفكري العالمي الجديد في عالم ما بعد الكولونيالية .

4- تتبعت الدراسة بعض الانساق الثقافية المضمرة، لما لها من طاقة تعبيرية عالية في اعادة انتاج قراءة جديدة للنص الاكبر(الواقع)، فضلا عن بعض الانساق الابداعية من العتبة الاولى للرواية (العنوان) الى تقنيات الكاتب في متن الرواية .

5-استعمل الكاتب تقنية المونتاج السينمائي، خلال 28 فصلا متداخلا تركها بلا عنوان، ولا يحكم هذا الترتيب اي تناسق زمني في بنية الحدث فهو يمنتج الاحداث على وفق تقنية التناوب السردي.

الاحالات:

1-تساؤلات حول الهوية العربية ، مجلة مواقف، العدد 16، دار الساقي، بيروت، 1992، ص27 .
2-التحليل الثقافي، بيتر برجر وآخرون، ترجمة فاروق أحمد مصطفى، مراجعة وتقديم احمد ابو زيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص 152 .
3-موسيقى الحوت الازرق (الهوية – الكتابة العنف)، ادونيس، دار الآداب، لبنان – بيروت، 2002، ص 24 .
4-رواية رغوة سوداء، حجي جابر، الطبعة الاولى، دار التنوير، القاهرة، 2018 ص .119

5-المصدر نفسه ص 117
6-المصدر نفسه ص 103
7-المصدر نفسه ص118
8-ينظر اشكالية اليهودية في اسرائيل، د. رشاد عبد الله الشامي، عالم المعرفة، 1997، ص 5 .
9-رواية رغوة سوداء، ص 52-53 .
10-المصدر نفسه ص 55
11- المصدر نفسه ص 71-72
12-المصدر نفسه ص 72-73 .
13-المصدر نفسه ص 141 .
14-الثقافة العربية والعولمة، دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب، محمد حسن البرغثي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 2007، ص 116 .
15-ازمة الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، اطروحة دكتوراه، قحام توفيق، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين، الجزائر، 2017، ص 9 .
16-النقد الثقافي- قراءة في الانساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، 2005، ص 79 .
17-نقد ثقافي أم نقد أدبي، د. عبد الله الغذامي و د. عبد النبي اصطيف، دار الفكر، دمشق، 2004، ص 33
18-النقد الثقافي- مصدر سابق- ص.77
19-النسق المضمر في ديوان النبية تتجلى في وضح النهار، دراسة في ضوء النقد الثقافي، ربيعة جلطي، رسالة ماجستير، كلية اللغة والادب العربي والفنون، جامعة باتنة ، الجزائر، 2016، ص 89 .
20-ينظر العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسالك التأويل، محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات دار الامان، الطبعة الاولى، 2012، ص 21 .
21-رواية رغوة سوداء، ص 138 .
22-المصدر نفسه،ص141 .
23-المصدر نفسه ص 244 .
24-المصدر نفسه ص 249 .
25-المصدر نفسه ص13-14 .
26-المصدر نفسه ص 41.

المصادر:
1- ازمة الهوية في الرواية الجزائرية المعاصرة، اطروحة دكتوراه، قحام توفيق، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد لمين دباغين، الجزائر، 2017
2- اشكالية اليهودية في اسرائيل، د. رشاد عبد الله الشامي، عالم المعرفة، 1997
3- التحليل الثقافي، بيتر برجر وآخرون، ترجمة فاروق أحمد مصطفى، مراجعة وتقديم احمد ابو زيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008
4- تساؤلات حول الهوية العربية، مجلة مواقف، العدد 16، دار الساقي، بيروت، 1992
5- الثقافة العربية والعولمة، دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب، محمد حسن البرغثي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007
6- رواية رغوة سوداء، حجي جابر، الطبعة الاولى، دار التنوير، القاهرة، 2018
7- العنوان في الثقافة العربية، التشكيل ومسالك التأويل، محمد بازي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات دار الامان، الطبعة الاولى، 2012
8- موسيقى الحوت الازرق (الهوية – الكتابة العنف)، ادونيس، دار الآداب، لبنان – بيروت، 2002
9- النسق المضمر في ديوان النبية تتجلى في وضح النهار، دراسة في ضوء النقد الثقافي، ربيعة جلطي، رسالة ماجستير، كلية اللغة والادب العربي والفنون، جامعة باتنة ، الجزائر، 2016
10- النقد الثقافي- قراءة في الانساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، 2005
11- نقد ثقافي أم نقد أدبي، د. عبد الله الغذامي و د. عبد النبي اصطيف، دار الفكر، دمشق، 2004

Identity problematic in novel Black Foam

To hji Jaber

Dr. Nidal Abdul-Jabbar Hassouni
Department of Arabic Language / College of basic Education
Al-mustansariayah University

Abstract:
The novel Black Foam by the Eritrean novelist Haji Jaber is a chunky novel of many issues that addressed the problematic integration of the African immigrant within the transcendent societies due to the problematic race. This novel, which entered the list of the Arab Booker Prize, examined the suffering of sub-identities and the ambiguity and the conflict with the center within a series of painful events for a human segment that suffered Rejection, even after reaching the so-called utopia (Israel), the dream homeland of the Falashmura Jews of Ethiopian origins.